اي مامطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون
شانا في قولك ماشانك يقال شانت شانه اي قصدت
قصده وقري لا نسقي وتصدر والرعا بضم النون والبا والراء
والرعا اسم جمع كالرجال والنسا واما الرعا بالكسر فقياس كصيام
وقيام كبير السن يسقي لهما فسقي حينها لاجلهما فقد روي
ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال
وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مايه فاقله وحده وروي انه
سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا
ينزعها الا اربعون فاستقي بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة
وروي غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى ليستقي
لهما وقيل كانت بير اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في
المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت
عليه امة من الناس مختلفة متكاثفة العدد وراي الضعيفتين
من ورايهم مع غنمهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات
همته في دينانه تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط
خف القدم والجوع ولكنه رحمهما واعانهما وكفاهما امر السقي
في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من
الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص
امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان
به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه
وبعث على الاقتدا في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت — لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون
وتذودان ولا نسقي قلت — لان الغرض هو الفعل لا المفعول

الا تري انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما
لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى
يصدر الرعا المقصود بقيه السقي لا المسقي فان قلت
كيف طابق جوابهما سواله قلت — سالهما عن سبب
الذود فقالتا السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان
لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي
الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه
الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما
فان قلت — كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب ان يرضى
لابنتيه بسقي الماشية قلت — الامر في نفسه ليس بمحظور
فالدين لا ياباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات
متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب
اهل البدو غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة
حالة ضرورة اي لاي شي انزلت الي قليلا او كثيرا غثا وسمين
لفقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر
ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سال الله الا
اكله ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير
الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك
وثروة قال ذلك رضي بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان
الظل ظل سمرة على استحيا في موضع الحال اي مستحييه ومتحفزه
وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل
الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لي

Copyright © King Saud University